IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ

Exaggerated Sadness in the Frontal Front of Imru Al-Qais Al-Mallaqah as a Model

Dr. Naseer K. Abbas ♦

Arabic Language Instructor, College of Education for Pure Sciences, Wasit University, Iraq .

KEY WORDS:

Imru' al-Qays, the poet, the ancient, the Talliah introduction, the narrator, the feelings, the truth, the reality.

ARTICLE HISTORY:
Received:20 / 6/2021
Accepted: 4/ 7 / 2021
Available online: 28 /8 /2021

ABSTRACT

Researchers believe that in the poetry of every poet there is what is suitable for criticism at one time. Therefore, it is correct to re-approach creative texts from time to time to the cultural transformations - which each stage witnesses - that would show new results and different convictions, which is a praiseworthy matter, and raises the value of literary productions, and returns to its owner fame and quality, as well as being a vast field for the practice of reading according to new curricula, and to identify its ability to approach texts, and the extent of its success in that; Perhaps the use of some narration tools is useful to pursue the basic elements on which the text is built, and contributed to its appearance as it has reached to us. The narrator was the tool that the researcher tried to test on the introduction to Imru' al-Qays' commentary . He is one of the basic elements in the narrative construction - To stand on his accuracy in transmission, and depict the events in the structure of the informant, The researcher believes that he wrote his point of view in what he sees, based on the fact that freedom of opinion is protected if it provides the researchers arguments or convictions that support his claims towards what he hopes to be right.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

♦ *Corresponding author: E-mail*: **naseer.abbas@uowasit.edu.iq**

الحزن المبالغ فيه في المقدمة الطللية عند امرئ القيس المعلقة انموذجاً

م.د. نصير خلف عباس

مدرس اللغة العربية ، كلية التربية للعلوم الصرفة، جامعة واسط، العراق.

الخلاصة:

يرى الباحثون أنَّ في شعر كل شاعر ما يصلح في زمن من الازمان للنقد؛ لذلك من الصحة أن يعاد مقاربة النصوص الإبداعية بين مدة وأخرى لما في التحولات الثقافية –التي تشهدها كل مرحلة– ما من شأنه أن يظهر نتائج جديدة، وقناعات مختلفة، وهو أمر ممدوح، ويرفع من قيمة النتاجات الأدبية، ويعود على صاحبها بالشهرة والجودة، فضلا عن كونها ميدانا رحبا لممارسة القراءة على وفق مناهج جديدة، والتعرف على مقدرتها في مقاربة النصوص، ومدى نجاحها في ذلك؛ ولعل استعمال بعض أدوات السرد فيه جدوى لملاحقة العناصر الأساسية التي بُني عليها النص، وساهم في خروجها بالمظهر الذي وصلتنا عليه؛ فكان الراوي الاداة التي حاول الباحث تجريبها على مقدمة معلقة امرئ القيس –وهو من العناصر الأساسية في البناء السردي–؛ ليقف على دقته في النقل، وتصوير الأحداث في بنية المطلع، ويعتقد الباحث أنه سطَّر وجهة نظره فيما يراه، منطلقا من أنَّ حرية الرأي مصونة إذا ما قدمت ما يمكن له أن يتوافر على حجج أو قناعات تدعم مزاعمه تجاه ما يأمل أن يكون فيه مصيبا.

الكلمات الدالة: امرئ القيس، الشاعر، القِدَم، المقدمة الطللية، الراوي، المشاعر، الحقيقة، الواقع.

المقدمة

يعتقد الدارسون أن قيمة امرئ القيس الشعرية كبيرة جدا، وهذا لا يعني أننا نقف عند ما قاله النقاد والباحثون في شأنه أو فيما يتعلق بشعره، إيمانا بأن لكل باحث وجهة نظر ليست بالضرورة أن تجاري زمنا خلا، ولا ينبغي لها أن تتفق مع أراء نقاده وإلا لا قيمة لحضورها، ولا فائدة ترجى من وجودها، بل وأكثر من ذلك فهي ليست معنية بقدر أن تتفق مع وجهة نظر معاصرة بقليل أو كثير، ولاسيما في المسائل التي يغلب عليها طابع انساني، أو أنها منفلتة من قبضة المنهج الواحد الذي يتسلط بتفرده على القراءة النقدية، حتى ينتهي إلى نتائج متشابهة على الرغم من كثرة القراء والباحثين، وقد يكون ذلك أقرب الى المناهج العلمية منها الى الإنسانية.

الحزن المبالغ فيه:

لا يستطيع باحث أن يتجاوز أن امرأ القيس من كبار الشعراء، ومن أشهرهم، وأنه سابق لأكثرهم في الشعر، وأن شعره شكل الأنموذج الذي رسم طريقا سالكا لمن بعده، حتى احتذى منهجه كل الشعراء –إن لم نكن نبالغ في ذلك–؛ لذلك يُعاين تأثرهم بوضوح على مر العصور، ولا يُكاد يُستثنى أحد لم يقل الشعر على طريقته –وإن كان في الأمر نسبية– في العصر الحديث فضلا عن العصور القريبة على زمنه، ولكن لكل موضوع في الشعر بابه الذي منه يطرق، ومأخذه الذي عليه يسأل، ولا يخفى على أحد أن ثمة مسائل كثيرة يمكن أن تناقش، وقد تكون نقطة ضعف بعض الشعراء، أو محل خلاف النقاد والباحثين، وللمناهج الحديثة فضل لا ينكر؛ إذ إنها تفتح مع الشعر أو الشعراء نوافذ للحوار في كثير منها موضوعات جديدة أو أنها تعيد النظر في آراء قديمة كشفت عن قناعاتها في مسألة شعرية معينة؛ لذلك سوف يسلط الضوء على أغلب الآراء التي قيلت في امرئ القيس او في شعره، ويُحاور ما لا اختلاف فيه، ويُؤيد ما يرى قولا جازما لا يقبل الشك، ومن الصعوبة حقا أن تُحصى كل آراء النقاد في شاعر مثل امرئ القيس؛ فهي كثيرة جدا جدا!! ولكن سوف يكون الاهتمام على ما هو جدير بذلك.

لا يخفى على أحد أن كثيرا من النقاد كانوا يرون أن امرأ القيس أفضل الشعراء على الاطلاق. ومنهم الآمدي الذي ألف كتابا في تفضيله على سائر الشعراء الجاهليين (تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين)، وقد يكون مصيبا بذلك؛ إذ لا لم يحظ شاعر جاهلي بوفرة شعرية مثلما نال ذلك امرؤ القيس، "وقد كان يعاصر من الشعراء والمعروفين: علقمة بن عبدة، وعبيد بن الابرص، والشنفرى، وأبو دؤاد، وسلامة بن جندل، والمثقب العبدي، والبراق بن روحان، وتأبط شرا، والتوءم اليشكري، وكان من حشم أبيه شاعر اسمه عمرو بن قصبة، وهو الذي ذكره في قصيدته التي قالها حين توجه الى قيصر، وذلك في قوله:

بَكَى صاحبي لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُوْنَهُ وأيقنَ أنّا لاحقــانِ بقيصرا

وكل هؤلاء لم يقع للرواة من شعرهم مقدار ما وقع في أيديهم لأمرئ القيس؛ فكان ذلك سببا من أسباب تميزه وتفرده"[١]، والكثرة تجلب معها في الأقل أمرين؛ الأول: تعدد الأغراض الشعرية؛ لأنها تعطي انطباعا جيدا عن مقدرة الشاعر في قول الشعر، على اختلاف موضوعاته وأغراضه، وهي بالضرورة صفة ممدوحة تمنح الشاعر مزيدا من التفوق على اقرانه.

وأمَّا الامر الثاني: فإنَّ غزارة الإنتاج الشعري تفضي الى تجربة عميقة، لها أبعادها الزمنية والموضوعية، وهذا الامر جدير بأن يدفع بالشاعر الى منزلة رفيعة، ومكانة متقدمة، وأولية حتمية.

وإذا كان للغزارة الشعرية دور فاعل في أفضلية الشاعر فإن ذلك ينتهي الى تجربة عريقة يغترف منها الاخرون ما يصحح شعرهم أو يقوّم تجاربهم، حتى يعتقد الرافعي "أن الشعراء كانوا يهتدون في الصنعة بامرئ القيس، فكان شعره لهم أشبه بكتب البلاغة للمتأخرين"[٢]، ويتسرب تأثيره الى الشعراء من بعده "وظلت قصائده تبعث على التقليد والاتباع وانبهر بقصائده عدد كبير من شعراء العربية في مختلف العصور، ورأوا فيها الصورة الانموذج لبناء القصيدة الفني والموضوعي، وشعره يمثل مرحلة مبكرة من الأسلوب الخاص في عرض العواطف والأفكار والقضايا وتشكيلها على نحو مؤثر، وكثيرا ما كان امرؤ القيس يرتد الى أعماق التجربة الإنسانية فيتمثلها ويشكلها تشكيلا فنيا يضفي على الوجود معنى وروحا ونظاما"[٣]، ولا تقف الفائدة عند الشعراء فحسب وانما تتعدى ذلك الى النقاد في اظهار جملة من الخصائص التي تشكل معيارا يصار إليه التمثيل والقياس، ولاسيما في الاشباه والنظائر من القول، ويعدو الامر أبعد مما تقدم؛ إذ لا يخفى على أحد أن امرأ القيس من الشعراء الأوائل الذين ذهب شعرهم شاهدا غير قابل للرد فيما يتعلق بالنحو والصرف وعلوم البلاغة والتفسير، "وما وقع للعلماء من شعره لا يجتمع منه لشاعر جاهلي، فكان شعره تحفا فنية عتيقة بهرت أهل الغريب وعلماء البيان وأرباب البلاغة وأصحاب التفسير"[٤]، ومن فوائده أيضا ما رواه ابن قتيبة إذ قال: "أقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء، إذ أقبل راكب على بعير، وأنشد بعض القوم:

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٧٧/٢.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٩١/٢.

(٣) أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته: ١١.

(٤) أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته: ١١.

ولَمَّا رأَتْ أَن الشَّرِيعة هَمُّها وأَنَّ البَياض من فَرائِصِها دَامي
تيَمَّمتِ العَين التي عند ضارِجٍ يفيءُ عليها الظّل عَرمَضُها طامي

فقال الراكب: من قال هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، هذه ضارج عندكم، وأشار إليه، فمشوا على الركب، فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض والظل يفئ عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا"[١]؛ لذلك لا يتردد باحث في جدوى كتاب الطوفي (موائد الحيس في فوائد امرئ القيس).

وقد أصاب الحقيقة جملة من النقاد حين قدموا امرأ القيس على شعراء عصره؛ ومنهم أبو عمرو بن العلاء الذي يرى "أنَّ الشعر فُتح بامرئ، وخُتم بذي الرمة"[٢]، وقدمه ابن رشيق على سائر شعراء الجاهلية أيضا: "تقدمة الشعر لليمن: في الجاهلية بامرئ القيس"[٣]، وقال الصاحب بن عباد: "بُدئ الشعر بملك وخُتم بملك، يعنون امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان"[٤]، ولأبي عبيدة رأي شبيه بذلك: "افتتح الشعر بامرئ القيس وخُتم بابن هرمة"[٥]، وينقل ابن رشيق عن الجمحي قوله: "فارس اليمن في بني زبيد عمرو بن معدي كرب، وشاعرها امرؤ القيس"[٦]، وقال أيضا: "اخبرني يونس بن حبيب: أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر"[٧]، وقد يكون للشعراء الرأي ذاته، يقال إنَّ لبيدا مرَّ بالكوفة فسأله أحدهم: "من أشعر الناس؟ قال: الملك الضليل"[٨]، وروى ابن قتيبة عن لبيد بن ربيعة قوله أيضا: "أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس"[٩]، وسئل الفرزدق من أشعر الناس فقال: "ذو القروح، يعنى امرأ القيس"[١٠]، وبرر الذي قدم امرأ القيس على غيره بقوله: "ما قال مالم قالوا، ولكنه سبق العرب

(١) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١١٢/١.
(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيين: ٨٤/٤.
(٣) الازدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٨٩/١.
(٤) الازدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٨٩/١.
(٥) الازدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٩٠/١.
(٦) الازدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ونقده: ١٩١/٢.
(٧) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٢/١.
(٨) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٤/١.
(٩) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٠٥/١.
(١٠) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٣/١.

الى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار"[١]، وعلل عمر بن الخطاب تقديمه بأنه: "سابق الشعراء، خسف لهم عين الشعر"[٢]، وقال وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: " قال من فضله: أنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى في الدمن، ووصف ما فيها. ثم قال: دع ذا رغبة عن المنسبة، فتبعوا أثره. وهو أول من شبه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الاوصاف"[٣]، وذهب ابن الكلبي إلى أنه أول من بكى في الديار[٤]، "وأول منقال (فعادى عداء) فاتبعه الناس. وأول من شبه الحمار (بمقلاء الوليد)، وهو عود القلة. و(بكر الاندري) والكر: الحبل. وشبه الطلل (بوحي الزبور في العسيب)" [٥]، ويعزو آخر تقديم امرئ القيس الى طبيعة قوله في الشعر "كان أشعر الناس امرأ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والاعشى إذا طرب"[٦]، وقد يكون لابن قتيبة رأي آخر. قال: "وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد"[٧]، ويبدو أن ابن قتيبة اختار ما له علاقة بواقعية الشعر أو يرتبط بسبب له علاقة بحكم الملك حجر.

وإذا كان لأمرئ القيس نصيب كبير من الآراء انشغلت في مدحه والثناء على شعره فإنَّ له سهما من النقد أسوة بالشعراء الاخرين، وقد بلغ من القسوة أن يقال فيه: "ومن تدبر ما نقلوه من شعر امرئ القيس يخيّل له أول وهلة أن هذه الشهرة التي رزقها ليست على مقدار شعره، ولا هي في وزن براعته، ولكنها جاءته من ذكره في الحديث الشريف"[٨]، وبناءً على رأي الرافعي فان الملك الضليل لم يسمُ بهذا الشكل، ولا اشتهر بهذا الصيت الا لأن الرسول (ص) ذكره في حديث شريف، ووجهت له اتهامات عدة "ومنها دخوله في وجوه المناقضة والإحالة في بعض الكلام، وذلك مما يدل على أنه يرسله ارسالا كما اتفق، لا يبتغي به إلا لذة المنطق، والا موتاة ما في نفسه من الميل الى القول"[٩]، واذا اقتصر الكلام على هذا الرأي لكان أعظم منقصة على شعره،

(١) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٥/١.

(٢) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٢٧/١.

(٣) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٢٨/١.

(٤) ينظر: ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٢٨/١.

(٥) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٣٣/١-١٣٤.

(٦) الشنتمري، العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى. (١٩٦٣). أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٢٧٤.

(٧) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٠٥/١.

(٨) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٧٥/٢.

(٩) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٩٤/٢.

شعره، وفيها دليل على ادانته بقلة الوعي الشعري، وأن مذهبه سطحي لا يعير لكلامه معنى مفيدا سوى أنه كلام جميل؛ وبذلك يفتقد امرؤ القيس كثيرا من خصاله التي نُعت فيها بوصفه شاعرا له مكانته التي سما فيها على اقرانه ومعاصريه.

ويرى الباحث أن لكل شاعر باباً يطل منه الباحثون والنقاد لقالوا آراءهم فيما يعتقدون، بحسب زمانهم، وادواتهم النقدية، وربما يتقاسم وجهة نظر معينة رأيان من زمنين مختلفين على الرغم من أن لكل منهما أدواته التي يقارب بها، وطبيعته المختلفة التي يحكمها زمان ومكان محددان، وقد يكون لآرائهم نقيض يسجله رأي آخر، ولا يُحسب ذلك إلا تحولا يطرأ على النظرية النقدية، أو للانتقالات النوعية التي تحققها الثقافة بكل أبعادها وتصوراتها، ذلك فضلا عن طبيعة التفكير التي لا تزال تبحث عن الثغرات القابلة للردم بطريقة افتقدت منطقها النقدي تحت ضغط ظرف معين في زمن من الازمان. وفي هذه الورقة البحثية يُعتقد بأن ثمة ما نقوله في مقدمة معلقة امرئ القيس، وقد يكون مخالفا لرأي قد أدلى الباحث به سابقا، ولا يُرى في ذلك حرجا؛ إذ إن اختلاف الآراء بين مدة وأخرى لا يكون نقصا بقدر ما يُحسب حالة صحية تنم عن دوام التفكير والاطلاع المستمر في الموروث الادبي الذي لما يزل نابضا بكثير من الامل في إيجاد أبواب يتفتق منها الجمال، ويشرق منها نور جديد لم يحظ بمشاهدة سابقة.

وفي أدناه جملة من الاعتقادات بما يراه الباحث ملائما لمقامه، والمدعمة بما يعضدها من الآراء النقدية أو الحجج الكامنة في النص ذاته، تعزز ما يذهب الباحث إليه في تحليله:

قال امرؤ القيس[1]:

قِفَا نَبكِ مِن ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ ... بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ وحَوْمِلِ

فَتُوضِحُ فَالمُقْرَاةُ لَمْ يَعفُ رَسْمَهَا ... لِمَا نَسَجَتْها مــن جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

تَـرَى بَـعَرَ الأَرْآمِ فِـي عَرَصَاتِـهَا ... وَقِيْـعَانِـهَــا كَـأَنَّــهُ حَــبُّ فُـلْـفُـلِ

كَـأَنِّـي غَـدَاةَ البَيْنِ يَـوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الـحَـيِّ نَـاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوْفاً بِـهَا صَحْبِـي عَلَّـي مَطِيَّـهُمُ ... قَالـــوْنَ لاَ تَـهْلِكْ أَسَـىً وَتَـجَمَّلِ

وإِنَّ شِفَـائِـي إِن سَفَحْتُهـا ... وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِـنْ مُعَوَّلِ

يعتقد الباحث أنَّ هذه المقدمة خالية من المشاعر الحقيقية التي يمكن أن يسببها حدث كبير مثل مقتل حجر والد امرئ القيس؛ **لأسباب عدة:**

أولا: إنَّ امرأ القيس رجل لاهي لا شغل له في المشاعر الحقيقية التي يمكن أن تنبثق من الشعور بالمسؤولية تجاه الحكم او إدارة أمور الناس بالطريقة نفسها التي كان يحكم بها رؤساء القبائل والملوك "فلم يكن بدعا أن يصبح الولد المدلل ملء نهاره صيد ولعب، ومحتوى ليله شرب

(١) إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس: ٨-٩.

وطرب، يسير مع جمع من صحبته ممن هم على شاكلته"[١]، و"كان محبا للهو واللعب مولعا بمغازلة النساء ومفاكهتهن"[٢].

ثانيا: كان معروفا عن أبيه أنه حاكم جبار وملك متغطرس يأخذ الناس بالقوة والاكراه، ولا يعبأ بأرواح الناس ومشاعرهم وممتلكاتهم[٣]، وبإزاء ذلك يكون امرؤ القيس أمام موقفين لا ثالث لهما؛ أحدهما أنه كان رافضا لذلك التعامل غير الإنساني، وساخطا على ملك أبيه، ويقال إن امرأ القيس كان مع أبيه عند مقتله على يد بني أسد ولكنه هرب وترك أهل بيته وما ملك أبيه بين يدي بني أسد[٤]، وثمة قول ينسب إلى امرئ القيس: "ضيعني صغيرا وحملني ثأره كبيرا"[٥]، ويرى الدكتور الظاهر أحمد مكي أن حجرا لم يكن وثيق الصلة بولده[٦]؛ لذلك ترك كل شيء بعد أن طرده أبوه من مملكته بحسب ما ورد عن كتب التأريخ، وهو أمر يحتاج الى وقفة أيضا؛ فقد ورد عن المؤرخين أن القبائل كانت تحتفي اذا ما نبغ لها شاعر، حتى تقام الولائم على شرفه، وتقدم لها التهاني والتبريكات؛ لأنه اللسان المحامي عن عرض القبيلة وشرفها، وهذا يتنافى مع فعل والده الذي انتهى به الى النفي؛ لذلك من غير الممكن أن تكون تلك الوقفة حقيقية، والبكاء نابع من مشاعر تستدعي بكاءً مثلما صوره. وثانيهما أنه على طريقة أبيه، لا اشكال لديه في سلوك الملك، ومنهج الحكم، والبعد عن مرمى الملوكية أمر مكره عليه بسبب طيشه ولهوه، ولا دليل على أن ثمة دافع يحتم على امرئ القيس أن يكون صادقا في وقوفه على الديار وبكائه على الملك المغدور، ولاسيما أنه يعتقد بأن لا جدوى من البكاء[٧]، والمشاعر التي صورت في المقدمة لم تكن بدافع ما تقدم في الأقل، وهذا ينتهي الى النتيجة نفسها.

ثالثا: لقد أقرَّ امرؤ القيس أن تلك المقدمات التي يبكي فيها ديار الأحبة تقليد فني، اتبع في ذلك ابن خذام[٨]:

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحيلِ لأنَّنا نَبكي الدّيارَ كَما بكى ابنُ خِذَامِ

وهذا حتما ينتهي الى مشاعر غير صادقة.

---

(١) مكي، د. الطاهر أحمد. (١٩٩٣). امرؤ القيس حياته وشعره: ٥٨.

(٢) السندوبي، حسن. (١٩٩٠). ديوان امرئ القيس ويليه اخبار المراقسة واشعارهم واخبار النوابغ واثارهم في الجاهلية والإسلام: ١١-١٢.

(٣) ينظر: الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني: ٨٢/٩-٨٣.

(٤) ينظر: الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني: ٨٥/٩.

(٥) الشنقيطي، أحمد الأمين. المعلقات العشر واخبار شعرائها: ٧.

(٦) ينظر: مكي، د. الطاهر أحمد. (١٩٩٣). امرؤ القيس حياته وشعره: ٥٨.

(٧) ينظر: إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس: ٩.

(٨) إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس: ١١٤.

رابعا: على أي شيء كان بكاؤه؟ فإن كان على الحبيب سواء أكان أهلا أم حبيبة فهو لم يتحدث عنهما في مقدمته، وانما كان الحديث عن الديار والمواضع، ومن ثم لم يعهد أنه بكى على موت أبيه؛ قال ابن السكيت: "لما طعن الاسدي حجرا ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق الى ابني نافع –وكان أكبر ولده– فان بكى وجزع فاله عنه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس –وكان أصغرهم– فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي... حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت الى قوله؛ وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك"[١]؛ وإذا كان عن ديار الأحبة فلِمَ تمنى أن تندثر ويختفي أثرها؟[٢] أليست هذه الأمنية مثيرة للشك في أن تلك المشاعر إن وجدت بحسب ادعائه فإنها لا تعدو أن تكون رياءً لا يتعدى القول الذي ينافي الحقيقة وإلا لكانت أمنيته مغايرة تماما لما هي عليه في المقدمة.

وقد يكون البكاء على الأحبة والديار معا، وهذا غير متكافئ في المقدمة، إذ لم يرد ذكر الاحبة إلا على نحو الإشارة بكلمة واحدة فقط (حبيب)، مرورا دون الوقوف بما يتناسب وحجم الحب الموصوف من طريق السيرة الملقاة على أكتاف المرويات الكثيرة في تفسير أبيات الغزل ووصف المرأة أو البحث عن الملوكية الضائعة في تشتت القبائل عنه، والتنصل عن مساعدته ومد يد العون للأخذ بثأره، وأما الديار فقط فقد أورد الباحث حديثه السابق في طبيعة التعاطي مع الموضوع، والعلاقة الحقيقية التي لا تقدم للترابط بين الديار والشاعر الا بقدر ما مسجل من كلمات على الورق، وتناقضها الاماني التي خانتها رياح من جنوب وشمأل.

خامسا: عن أي الديار يبكي؟ فإذا كان الشاعر المعروف يتحدث بتلك الطريقة التي تشير الى جهل المتلقي بموضع الديار بشكل دقيق؟ فكم موضع ينبغي له البكاء عليه؟

إنَّ طبيعة المكان في المقدمة تشير دون أدنى شك إلى أن امرأ القيس حاول جهادا أن يضع يد المتلقي على خارطة طريق لا يضل معها، والسبب لا يعدو أن يتعلق بموضوع كثرة الديار العالقة في ذهن المتلقي، ويحاول الشاعر أن يوجه أنظاره الى مكان محدد لئلا تختلط عليه الأمور وتتعدد الاحتمالات بتعدد الأماكن، وذلك يفضي الى موضوع أهم، وهو يكمن في السؤال الآتي: هل يتعلق المرء –بالدرجة نفسها– في كل مكان يسكن فيه؟ وإذا لم يكن كذلك فلِم اختار

---

(١) الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني: ٨٧/٩.

(٢) ينظر: أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته: ١٦٧.

امرؤ القيس ذلك الأسلوب التفصيلي في الارشاد، والشرح الدقيق في وصف الطريق الى مكانه المحبب؟

من جهة أخرى لم يركز الشاعر على مكان بعينه، وانما شتت نظر المتلقي بالحديث عن مواضع متعددة، الامر الذي يصهر صدق المشاعر ويضعف من ثقة المتلقي في تلقيه موضوعة الحزن والبكاء.

سادسا: الفاصل الزمني كبير جدا إذ إن الحديث عن الديار جاء بوصف الذي يحاول التذكير بموضعها، وكيف كانت حالها وهي مرتع للحيوان الوحشي (الارام)، فقد يرد للذهن استفهام عن السبب الذي حال دون الرجوع إليها إذا كانت محببة أو أنها أرض الأحبة في وقت تستحق أن توصل أو تعاد الى ذاكرة المتلقي بعد فراق أكره عليه الشاعر إلا إذا كان تذكرها ذا صبغة فنية، أو أن الطريق إليها محطة لا مفر منها للوصول إلى هدف أسمى.

سابعا: إنَّ قيمة المشاعر وصدقها في أن يقصدها الانسان، ويحاول استذكارها متعمدا ذلك، من طريق أي شيء يتعلق بها، أو يؤدي إليها ولا يُعتقد أن الشاعر كانت لديه رغبة في التوجه الى تلك الديار وتذكر الأحبة؛ لذلك كان مروره عليها عابرا، وبذلك ربما كانت مشاعر الحزن والبكاء مصطنعة.

ثامنا: تذكر الشاعر الديار والأحبة (من ذكرى حبيب ومنزل)، والذكرى لا تكون إلا للأشياء المنسية، وأي نسيان أعظم من نسيان الاشياء المحببة والقريبة من النفس، والمشكلة الكبرى في هذا المقام، أن ذكراها جاءت مصادفة، إذ تذكر امرؤ القيس أحبته والديار حين مرَّ منها وهو قاصد طريقا آخر، وطلب من صحبيه الوقوف للبكاء؛ لذلك لا يستبعد أن تكون تلك المشاعر عابرة كتلك الوقفة وذلك الاستذكار.

تاسعا: الأشياء المحببة غالبا ما تكون هي محور الموضوع، وعليها يدور الحديث؛ لأنها الأساس الذي تنطلق منه الفكرة، وعليه تبنى الاحداث، ولاسيما اذا كان الموضوع بمستوى فقد الاحبة، او ترك الديار، وقد يُفتقد ذلك في مقدمة امرئ القيس، وان كان الكلام في المواضع والتذكر إلا أنه لا يبدو ذكر دياره مختلفا عن غيره، بل يبدو الحديث صورة جغرافية لطبيعة المواضع، واسمائها، الا اذا كانت تلك المواضع كلها بعين الاهتمام، ولها اعتبارات على كثرتها وتنوع اسمائها، وبذلك تفقد خصوصيتها، ولاسيما اذا كانت متنوعة، ولكل منها طبيعة مختلفة، وحضور خاص.

عاشرا: أمر الصحبة بالوقوف قد يدفع المتلقي الى تصور شيء لا يبدو بعيدا عن التظاهر بالتذكر، ولو حدث الوقوف تلقائيا؛ لكان أقرب منه للحقيقة، وكانت دعوة أصحابه زائدة؛ لأنهم سيقفون أولا وآخرا، سواء دعاهم امرؤ القيس أم لم يدعهم.

الحادي عشر: الدعوة للبكاء ومشاركة الاحزان والمشاعر أمر معيب، حتى وإن كانت تلك الدعوة للمقربين من الناس والاصحاب؛ كان ينبغي على امرئ القيس أن يدعوهم دون كلام، ويدفعهم

للمشاركة من غير أن ينطق بكلمة واحدة، ولو كان ذلك البكاء صادقا، والمشاعر حقيقية لكانت حاله أبلغ دعوة لأصحابه؛ فمن غير المعقول أن يُرى بكَّاء مثلما صورت ذلك المقدمة ولا يتأثر أحد به، أو يتعاطف معه من أجل التخفيف عنه ومواساته.

الخاتمة:

وجد الباحث نفسه أمام مفترق طرق! فإما أن يحذو طريقة بعض النقاد الذين نظروا الى المعلقة في أنها نص محاط بهالة من التقديس، ينبغي التعامل معه بحذر شديد، وأن يُؤخذ ما فيها على نحو من التسليم؛ لأنها تمتلك ما من شأنه أن يضعها في منزلة عليا، وقد تحدث الباحث عن ذلك في الصفحات السابقة بما يغني عن الإعادة والتكرار، أو أنه يذهب أبعد من التصورات القارة في القراءات السابقة، ويحاول أن يقف على أشياء جديدة؛ كي لا تبدو هذه القناعات غثا لا فائدة منه، ولا جديد فيه، فتهمل أسوة بغيرها ممن اختار منهج التسليم بما ورد عند السابقين، واكتفى بجمع الآراء وتبويبها على نحو يبدو فيه الترتيب السمة البارزة، والمهيمنة على البحث، ولا شيء سوى ذلك.

والواقع استطاعت هذه القراءة المتواضعة في صفحات معدودة أن تخرج بمجوعة من القناعات؛ أولها: أن النصوص مهما بلغت قيمتها تاريخيا، أو في نظر أهل التخصص تظل مطاوعة لمطرقة النقد، وفيها قابلية العطاء بقدر ما يملك الباحث من مقدرة على الولوج الى مكنوناتها، والوقوف على أسرارها، وما استطاعت أن تخفيه بشرط ألَّا تكون النتائج محض اهواء، لا دليل على صحتها.

النتيجة الثانية: أن تلك النصوص قد تلامس الحقيقة بقدر معين، ولكنها تفتقد الواقعية في جوانبها الأخرى، وهي بالضرورة كثيرة جدا مثلما صرح بذلك النص نفسه، ووقف عليها الأساتذة النقاد بنحو لا يستلزم التحقيق.

النتيجة الثالثة: لا يشك الباحث اطلاقا أنه بصدد شاعر له مكانته الأدبية المرموقة، ومنزلته التاريخية الرفيعة، ولكن ذلك لا يعني أنه لا يستطيع الغور في غمار نتاجه الشعري، ولا سيما أشهره، وهو المعلقة المعروفة؛ لأنه يعتقد أنها من النصوص الولادة للقناعات الجديدة –إن صح الوصف– والقابلة في منح الباحث نتائج لم يسبق طرحها أو التعرف عليها، وهذا الامر صحي بالنسبة للدراسات الأدبية على وجه الخصوص.

النتيجة الرابعة: لا يعتقد الباحث أن ثمة ما يشير الى وجود مشاعر حقيقية اشتملت عليها مقدمة المعلقة، بل يرى خلاف ذلك وقد سطَّر مجموعة من الأدلة التي يعتقد بأنها كافية للحكم على افتقار المطلع للرواية الدقيقة تجاه ما جرى من أحداث كانت وراء نظم المعلقة كلها.

النتيجة الخامسة: لم يكن امرؤ القيس الرجل المناسب على وراثة كرسي الملك، ولا الثائر القادر على الأخذ بثأر الملك المغدور.

النتيجة السادسة: وِرِث في المقدمة عدد من الأمور بوصفها مصدرا للقوة، تعزز طبيعة الموضوع، وتعضد مذهب الشاعر النفسي والعاطفي، وهي في الواقع خلاف ذلك؛ فقد كان الوقوف، والبكاء، والذكريات المؤلمة، والأماكن الكثيرة، والوصف الدقيق إشارات إدانة لامرئ القيس، اتضحت حقيقتها بعد الكشف عما ورائيات التعبير، وأهداف الأسلوب.

المصادر

١. إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.

٢. ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.

٣. أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته، الطبعة الأولى، مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الامارات العربية المتحدة.

٤. الازدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت.

٥. الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيين، ت: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٧. الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء، ت: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.

٨. الحنبلي، الامام العالم نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري ثم البغدادي. (٢٠١٤). موائد الحيس في فوائد امرئ القيس، ت: الدكتور مصطفى عليان، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت.

٩. الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب، طبعة دار الايمان، المنصورة، مصر.

١٠. الرومي، ياقوت الحموي. (١٩٩٣). معجم الادباء، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب، ت: الدكتور احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

١١. السندوبي، حسن. (١٩٩٠). ديوان امرئ القيس ويليه اخبار المراقسة واشعارهم واخبار النوابغ واثارهم في الجاهلية والإسلام، الطبعة الأولى، دار احياء العلوم، بيروت.

١٢. الشنتمري، العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى. (١٩٦٣). أشعار الشعراء الستة الجاهليين، شرح وتعليق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، ملتزم الطبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.

١٣. الشنقيطي، أحمد الأمين. المعلقات العشر واخبار شعرائها، طبعة دار النصر.

١٤. مكي، د. الطاهر أحمد. (١٩٩٣). امرؤ القيس حياته وشعره، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر.

Sources

1. Ibrahim, Muhammad Abu Al-Fadl. Diwan of Imru' Al-Qays, Dar Al-Maaref, Cairo, Fifth Edition.

2. Ibn Qutayba. (1967). Poetry and Poets, T: Ahmed Mohamed Shaker, second edition, Dar Al Maaref, Cairo.

3. Abu Swailem, Dr. Anwar Elyan, Shawabkeh, d. Mohammad Ali. (2000). Imru' Al-Qais's Diwan and its attachments, first edition, Zayed Center for Heritage and History, United Arab Emirates.

4. Al-Azdi, Abu Ali Al-Hasan bin Rashik Al-Qayrawani. (1981). Al-Omda fi Beauties of Poetry, Literature and Criticism, verified by : Muhammad Mohi Al-Din Abdul Hamid, Fifth Edition, Dar Al-Jeel, Beirut.

5. Al-Isfahani, Abu Faraj. (1936). The Songs, first edition, Egyptian Book House, Cairo.

6. Al-Jahidh , Abu Othman Amr bin Bahr. (1998). Al-Bayan wa Al-Tabeen, verified by : Abdel Salam Muhammad Haroun, seventh edition, Al-Khanji Library, Cairo.
7. Al-Jamahi, Mohammed bin Salam. (1980). Layers of Stallions of Poets, T: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah.
8. Al-Hanbali, the Scholarly Imam Najm Al-Din Suleiman bin Abdul Qawi bin Abdul Karim bin Saeed Al-Tawfi Al-Sarsari and then Al-Baghdadi (2014). The Tables of Al-Hays in the Benefits of Imru' Al-Qays, verified by : Dr. Mustafa Alyan, first edition, Ministry of Endowments and Religious Affairs, Kuwait.
9. Al-Rafei, Mustafa Sadiq. (1997). History of Arab Literature, edition of Dar Al-Iman, Mansoura, Egypt.
10. Al-Rumi, Yaqut Al-Hamawi. (1993). A Dictionary of Writers, Guide Al-Arib to the Knowledge of the Writer, verified by : Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, first edition.
11. Al-Sindubi, Hassan. (1990). Diwan of Imru' Al-Qays, followed by the news of the Al-Muraqasa, their poetry, the news of the geniuses and their Traces on pre-Islamic era and Islam, first edition, Dar Ihya Al-Ulum, Beirut
12. Al-Shantamari, the scholar Yusuf bin Suleiman bin Isa. (1963). The poems of the six pre-Islamic poets, explanation and commentary: Professor Muhammad Abdel Moneim Khafagy, third edition, committed to printing and publishing: Abdel Hamid Ahmed Hanafi, Egypt.
13. Al-Shanqiti, Ahmed Al-Amin. The Ten Pendants and the News of its Poets, Dar Al-Nasr edition.
14. Makki, Dr. Taher Ahmed. (1993). Imru' Al-Qays, His Life and Poetry, sixth edition, Dar Al-Maarif, Egypt.